رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشيوعية تعانق الصوفية (١)(١)

هكذا تنتهك الأستار، وتتبرج الأسرار!!

أو هكذا تتجلىٰ الغاية من الدفاع عن الزندقة الصوفية!!.

والصوفية لم تعد تفتننا شاعرية سحرها، أو سحر شاعريتها المكحولة الغواية، فقد بصَّرنا الله بدَخَلها ودخائلها، وهدانا إلىٰ أن نعرف أن هذه البسمة الخلوب التي تغازل القلب علىٰ شفتيها، ما هي إلا غواية الشيطان افتَنَّ في تصوير فتنها علىٰ ثغر غانية هلوك قتول!!

ولقد بذلتُ ما ملكني الله من جهد في سبيل هتك الأقنعة السحرية عن وجهها الدميم المتقيِّح، ليبدو للذين فتنهم أنه وجه لا يُقَبَّل، وإنما هو الوجه الذي يجب أن يكون هدفًا لكل بصقة، وأن يرجم من المسلمين بكل لعنة.

ولقد جاءنا الأستاذ الكاتب (محمود أمين العالم)(٢) بحجة فوق حجج كثيرة أمدنا بها دعاة التصوف أنفسهم، تؤكد لنا صدق ما آمنا به من قبل، وهو أن للتصوف غواية وغاية.

أما غوايته فمهلكة، حسبنا أنها تجرد المسلم من عقيدته وكرامته وإنسانيته!.

وأما غايته، فهي ألا تكون للإسلام أمة، ولا قلب يستنشىٰ عبيره، ولا كتاب يشِعُّ نورُه ولا ذكرىٰ رسول يفرض الصلاة عليه!!.

---

(١) (١١ / ١٣٨٤هـ).

(٢) محمود أمين العالم شيوعي مصري، عمل مدرسًا مساعدًا بقسم الفلسفة كلية الآداب جامعة القاهرة، ولد سنة (١٩٢٢م)، توفي سنة (٢٠٠٩م). (ض).

لا نفحة عبير، ولا لمحة نور باد، ولا صلاة أواب، ولا ضراعة تواب، ولا تهجد خاشع، وتوبة ضارع!، هكذا تريد الصوفية وابنتها الشيوعية!!.

تريد حاضرًا مقطوع الأسباب عن ماضينا العظيم، وحياة تنزع بنسبها إلىٰ كل مروق يناصب دين الله الكراهية والبغضاء!!.

تريد القضاء علىٰ كل قيمنا الإسلامية، ومقوماتنا الروحية التي نستمدها من هدىٰ الله!!.

تريد تأريث العداوات والأحقاد ضد أمة الإسلام ورسول الإسلام وكتاب الإسلام ورب الإسلام!!.

تريد كل عدو حَشْدًا وإِلْبًا ضد هذا القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم، وهو عليهم عمىٰ، ويثير في قلوبهم الرعب، ويذكي ضرام الحسد الدنيء؛ لأنه - رغم تحالف قوىٰ الشر، وترامي الأحقاب والقرون بالكيد له - لم تمسسه يد بتحريف، ولم ينل منه باطل بتأويل، ولم تصنع حليفتها الصهيونية به ما صنعت بالتوراة والإنجيل.

أرأيتم كيف يدافع الأستاذ (محمود أمين العالم) بهذا الأسلوب الشاعري المتوقد العاطفة عن التصوف، وهو أبشع جريمة ارتكبت ضد الإسلام؟.

وهو زندقة لا يحترمها عقل فيه شعاعةٌ من فكر قويم.

وهو إلحاد لا يمكن أن يحنوَ عليه قلب كريم.

لقد قلنا مرارًا - وكان البعض يتشكك - أن التصوف حمولة مُعَبَّدَةَ المظهر للاستعمار، وللشيوعية وللصهيونية، ولكل نحلة مارقة جاحدة، وأنه الذي يمد كل عدو للإسلام بما يكيد به للإسلام.

ولقد حدثني الأخ الأستاذ سليمان رشاد(١) عن أخ مسلم هو الشيخ محمد بخاري الذي فر من وجه الشيوعية، أن الشيوعيين كانوا يحاولون إقناعهم بالشيوعية عن طريق دعمها بما في كتب الصوفية، ولم لا، والصوفية تمثل في نظر الكثرة الغالبة النبع الأصيل لأشرف روحانية، وسماء القدس لأرفع ربانية؟.

وهي في حقيقتها نفايات زندقات، وأمشاج ضلالات، وباطل أساطير وخرافات!!

الصهيونية صوفية!!.

والصليبية صوفية!!.

والباطنية الخبيثة صوفية!!.

وإلحاد إخوان الصفا صوفية!!.

والإسماعيلية والبهائية نتن من أنتن الصوفية!!.

ومن يَرْتَبْ فيما أقول، فإني أرجوه أن يكون بارًّا بالحق، حَفِيًّا بمعرفة الحقيقة، ويقرأ كتب أولئك الذين أوغلوا في الضلالة، ويقرأ معها كتابًا صوفيًّا واحدًا، وليكن: (فصوص الحكم لابن عربي)، وثمت يشعر أنه كان يقرأ لشيطان واحد له أسماء مختلفة فحسب!!.

ثم إني أتحدىٰ من يهفو إلىٰ التشكيك فيما أقول؛ كيلا يبصر الناس حقيقة الكيد

---

(١) هو سليمان رشاد محمد، من أعلام أنصار السنة المحمدية بمصر، ولد سنة (١٩٠٩م)، من الرعيل الأول، وكان من كتاب مجلة الهدي النبوي، عمل مديرًا لتحريرها، وكاتبًا لخطبها، ومفتيًا لقرائها، ترك كتابًا واحدًا بعنوان «التوحيد الخالص»، توفي سنة (١٩٩٣ م). [مجلة التوحيد (العدد السابع – السنة السابعة والعشرون)]. (ض).

الصوفي، أتحدىٰ من يلوي عما أقول صفحة عنق غليظ، أتحدىٰ أن يأتي واحد منهم بأثارة من دليل أو وهم حجة يثبت أحدهما غير ما أقول، وإني لأرجو أن يدعونا - مشكورًا - إلىٰ مساجلة في العلن، وليحدد هو لها الزمان والمكان.

فهل أجد من يقبل التحدي يا كهنة الصوفية؟

بالتحدي ألطم وجه كل صوفي كبير، وكل شيوعي خطير، سواء منهم عمداء الكليات أو كتاب المقالات. أتحداهم جميعًا في شتىٰ أقنعتهم، وبعضهم لبعض ظهير، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله علىٰ الكاذبين!!.

إنني أعتقد أن الذي يؤمن بشيء إيمانًا وثيقًا يهب في حماس صادق إلىٰ الدفاع عنه ضد عدوه، فمن الذي يهب إلىٰ الذياد عن الصوفية بالكلمة المقنعة، لا بالدسيسة الخرقاء، والكيد الدنيء.

والتحدي لا ينبعث عن تعصب مقيت، أو بينة من الحق، وعن رسيس حمية جاهلية، أو مسيس تخايل بعرفان، وإنما عن إيمان بأن الإسلام هو الحق، وأنه الدين الذي شهدت له التجارب الصادقة، وأيدها التاريخ والواقع في كل مكان وزمان أنه وحده الدين الذي يهدي البشرية إلىٰ التي هي أقوم في كل شيء.

ولقد أعفانا الأستاذ الناقد الكبير (محمود أمين العالم) فقد جاء بما يدان به التصوف دون حاجة ما إلىٰ تعداده، أو التذكير به.

جاء بأساطير التصوف، أو حماقاته، أو زندقاته دون مواربة أو مداهنة أو تلطف في الزج بها أمام الأبصار والبصائر؛ لتبدو علىٰ حقيقتها، أما بعض كهنة الصوفية فيأتي بها وعلىٰ وجهها أصباغ تكسبه شيةً من الجمال، وعلىٰ هيكلها الدنس شفوف رِقاقٌ قد لا تستر ما تحتها من دمامة، ولكنها تخدع النظرة العُجلىٰ.

ولنأت بهذه الزندقات الصوفية واحدة بعد واحدة كما ذكرنا بها الأستاذ محمود:

وحدة الوجود:

وكل صوفي عفِن الضلالة، متمرد الباطل، يحكم علىٰ الله سبحانه بأنه عين خلقه، يحكم عليه - سبحانه - بأنه ما له من وجود غير وجود هذا الكون المادي المحسوس، هذه هي وحدة الوجود الصوفية باختصار.

وفي هذا كان الأستاذ «محمود» نابغ الصراحة والوضوح، فلم يلجأ إلىٰ ما لجأ إليه الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود(١) عميد كلية «أصول الدين»؛ فقد ابتدع دفاعًا عن الصوفية ينزع في الحقيقة إلىٰ إدانة المتهم، لا إلىٰ تبرئته كما أحب الدكتور، فوضع في عين الصوفية المَلّ، وكان يظنه الكحل!!.

فقد زعم الدكتور عبد الحليم أن الصوفية يؤمنون بوحدة الوجود، لا بوحدة الموجود، وظن أنه بهذا قد رد عن عنق المجرم سيف العدالة القاطع، علىٰ حين يتجلىٰ مما فعل أنه مكن الحق الأبلج من مقتل الباطل اللجلج، ولقد ذكَّرناه في صحيفتنا «الهدي النبوي» بنصوص قاطعة من كتب أئمة التصوف في مقال كتبه الأستاذ نجيب المطيعي تثبت في جلاء ويقين لا يدافَع أن الصوفية تؤمن بوحدة

---

(١) هو عبد الحليم محمود ولد بمدينة بلبيس محافظة الشرقية بمصر سنة (١٣٢٨هـ)، حصل علىٰ الدكتوراة في التصوف الإسلامي، وكانت بعنوان: «الحارث المحاسبي»، عمل مدرسًا لعلم النفس بكلية اللغة العربية، ثم عميدًا لها، وعين عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية، ثم أمينًا له، ثم وكيلًا للأزهر، ثم وزيرًا للأوقاف، ثم شيخًا للأزهر، وله مصنفات كثيرة في التصوف والفلسفة، توفي سنة (١٣٩٧هـ). (ض).

الموجود، فما ثم من فرق بين الإيمانين الخبيثين؛ إذ هما متلازمان تلازم الخبث والنتن.

ووحدة الوجود - كما نفثها شيطانها ابن عربي - تقرر ما يأتي:

(إن العارف من يرىٰ الحق - أي الله - في كل شيء، بل يراه عين كل شيء). ص(١٩٢) جـ(١) فصوص الحكم، وكلمة (شيء) أعم كلمة في لغة العرب، وهي تطلق - عند ابن عربي - علىٰ الصور العقلية، والأعيان الثابتة قبل تعين الوجود المطلق فيها.

وتدبر هذه النصوص تترىٰ، وهي من كتاب فصوص الحكم لمحيي الدين بن عربي طبع دار إحياء الكتب العربية، بتحقيق وتعليق الدكتور أبو العلاء عفيفي من ص(٦٨، ٧٦، ٧٧، ١١١، ١١٢).

يقول: (فالحق محدود بكل حد، وصور العالم لا تنضبط، ولا يحاط بها، ولا تعلم حدود كل صورة منها إلا علىٰ قدر ما حصل لكل عالم من صورته؛ فلذلك يجهل حد الحق، فإنه لا يعلم حده إلا بعلم حد كل صورة، وهذا محال حصوله، فحد الحق محال).

ويقول: (تحققنا بالمفهوم وبالإخبار الصحيح أنه عين الأشياء!! والأشياء محدودة، وإن اختلفت حدودها فهو محدود بحد كل محدود، فما يحد شيء إلا وهو حدّ الحق. فهو الساري في مسمىٰ المخلوقات والمبدعات، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صح الوجود، فهو عين الوجود «فهو علىٰ كل شيء حفيظ» بذاته «ولا يؤوده» حفظ شيء، فحفظه تعالىٰ للأشياء كلها حفظه لصورته أن يكون الشيء غير صورته، ولا يصح إلا هاهنا، فهو الشاهد من الشاهد والمشهود من المشهود، فالعالم صورته وهو روح العالم المدبر له فهو الإنسان الكبير)!!.

ويقول: (ومن أسمائه الحسنىٰ (العليّ)، علىٰ من وما ثمّ إلا هو؟ وهو العلي لذاته أو عن ماذا، وما هو إلا هو، فعلوّه لنفسه، وهو من حيث الوجود عين الموجودات. فالمسمىٰ محدثات هي العلية لذاتها، وليست إلا هو).

ويقول: (إن الله تعالىٰ لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه. فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، فهو عين ما ظهر، وهو عين ما بطن في حال ظهوره، وما ثم ومن يراه غيره، وما ثم من يبطن عنه، فهو ظاهر لنفسه باطن عنه، وهو المسمىٰ أبا سعيد الخراز، وغير ذلك من أسماء المحدثات).

ويقول: (ولهذا الكرب تنفس، فنسب النفس إلىٰ الرحمن؛ لأنه رحم به ما طلبته النِّسب الإلهية من إيجاد صور العالم التي قلنا هي ظاهر الحق، إذ هو الظاهر وهو باطنها، إذ هو الباطن وهو الأول، إذ كان ولا هي وهو الآخر، إذ كان عينها عند ظهورها).

يقول في نصه الأول: إذا أردنا أن نضع لله تعريفًا كاملًا، وجب علينا أن نأخذ في تعريفه تعريف كل شيء في العالم؛ لأنه عين هذه الأشياء؛ ولهذا لا يمكن عنده وضع تعريف شامل لله؛ لأن صور العالم قد تتناهىٰ!!

وفي النص الثاني يقول: لقد حكم العقل والنقل «يعني بالنقل القرآن والحديث» أن الله عين الأشياء، وأنه ما من تعريف إلا ويطلق علىٰ الله، وأن هذا العالم صورة الله وذاته، وأنه سبحانه روح هذا العالم، وأنه إنسان كبير.

وفي النص الثالث صرح: بأن الله عين الموجودات، وأن هذه المحدثات التي نراها ليست إلا الله. فإذا ولد إنسان قيل: لقد ولد الله.. وإذا مات كافر قيل: لقد مات الله، وجل سبحانه. وإذا رأىٰ الصوفي خنزيرًا يأكل الخراء سجد له وقال له:

سبحانك يا الله!.

وفي النص الرابع يقول: (إن الله يجمع بين الأضداد في ذاته، وأنه عين الأشياء حال ظهورها، وعينها حال بطونها، ثم جاء بالصوفي أبي سعيد الخراز وقرر أنه هو الله، ليدلل بهذا علىٰ أنه يؤمن بأن الله كلِّيٌّ، وأن الله عين أفراد هذا الكلي، يؤمن بأنه الكلي والجزئي، والكل والجزء!.

وفي النص الخامس: يؤكد أن الله هو عين صور العالم.

وهناك عشرات النصوص التي تجبهك في كل صفحة من صفحات كتابه، والتي تؤكد إيمان ابن عربي بأن الله سبحانه هو عين هذا الوجود المتقدم في مادة، وأنه هو هذه المادة نفسها، وبهذا تلتقي صوفية ابن عربي وتلاميذه بالشيوعية في عناق دائم ملهوف مشغوف؛ فالشيوعية تكفر بوجود الله، ولا تؤمن إلا بوجود هذا الكون المادي المحسوس، وكذلك ابن عربي!!.

كل ما بين اللعنتين الكافرتين من فرق هو أن صوفية ابن عربي في خداعها المخنث وريائها الداعر. تسمىٰ هذا الكون إلهًا، أما الشيوعية فتسميه باسمه!!.

هذا ما يؤمن به ابن عربي، وهو عين إيمان الشيوعية؟ ولكنه يسميه بالله، أما الشيوعية فتسميه طبيعة، وهذا فرق لا يحكم علىٰ الإنسان بإيمان ولا ينجيه من كفر.

غير أني - دون أن أُبهت بغلو، أو أُتهم بعصبية جاهلية - أؤكد أن دين ابن عربي أشد نكرًا، وأقبح كفرًا وإسفافًا في حطة المادية، وإيغالًا في لوثة الإلحادية.

فالشيوعية لا تداهن في كفرها، ولا تفرض عليك تقديس هذه الماديات البادية في صورة صنم أو عجل أو خنزير، ثم إنها علىٰ كفرها تنزع إلىٰ الفصل بين قيم كثيرة من الأشياء المادية أو المعنوية.

أما صوفية ابن عربي وتلاميذه، فكفر يداهن، ونفاق يرائي، ووثنية غليظة تتراءىٰ فيوضَ روحيةٍ مؤمنةٍ خالصة التوحيد، وعدو يقتلك وهو يقبلك!!.

ثم هي - وقد حكمت علىٰ كل شيء بأنه هو الله - تفرض علىٰ من يدين بها أن يقدس كل شيء، وأن يعبد كل شيء، حتىٰ الوثن والخنزير والصليب وعجل السامري!!.

أما الشيوعية فلا تخلع علىٰ هذه الأشياء طيلسان هذه القداسة!! هذا والصوفية لا تفصل مطلقًا لا بين الضدين، ولا بين النقيضين، في المعنويات، ولا بين المتباينات في الماديات، فالكفر عندها عين الإيمان، والباطل عين الحق، والخطأ عين الصواب، والرذيلة عين الفضيلة، وإبليس عين آدم، والنمرود عين إبراهيم، وفرعون هو موسىٰ، وأبو جهل هو عين خاتم النبيين!!.

فوحدة الوجود تسوي بين الخالق والمخلوق في المفهوم والحقيقة والوجود، فكلاهما عين الآخر ذاتًا ووصفًا واسمًا!!

ومن الضلال البعيد عند الصوفية أن تفصل بين مفهوم الكلب الميت النتن الأجرب وبين مفهوم الإله!!.

ومن يؤمن بهذه الصوفية يؤمن بأنه لا قيمة خاصة للخير أو للفضيلة أو للحرية، أو للكرامة، فما ثم شيء منها إلا ويلتقي مع نقيضه ومقابله، إن الخير عين الشر، والعبودية عين الحرية؛ لأن الرب عين العبد!!.

والصوفية تفرض علينا ألا نلوم مجرمًا، أو نعاقبه خاطئًا، لماذا؟ لأن المقترف لهذه الخطيئة هو عين الله، وهكذا ذلك المجرم؛ ولهذا حكم ابن عربي بسمو إيمان فرعون وربوبيته، وبسمو إيمان اليهود الذين عبدوا عجل السامري، والمسيحيين

الذين عبدوا المسيح، والجاهليين الذين عبدوا الأوثان!!.

كما تؤكد لنا - كما ذكر ابن عربي في الفصوص - أنه ما ثم عذاب يوم القيامة، أو بتعبير أصح: ما ثم من قيامة بمفهومها القرآني؛ لأن الله عين كل شيء؛ وليس من المعقول أن يعذب الله نفسه!! وما أكثر النصوص في كتابه «الفصوص»، فأي تحريض مسفر علىٰ الإيغال في الفسوق والإبعاد في المروق؟

بل أي إلحاح فاجر في الدعوة إلىٰ المجانة والتمرد علىٰ كل فضيلة أصرح من هذا، وأشد قحة!!.

أفيريد منا الأستاذ «محمود» أن نؤمن بهذا؟!

وهل يجد الأستاذ الكبير عميد كلية أصول الدين في الشر المستطير نفحة خير أو أصلًا من أصول الدين؟

قد يقال: كيف تعانق الشيوعية الصوفية في الكفر بالله، والصوفية تحكم علىٰ الله بأنه وجود مطلق، والشيوعية تحكم عليه بأنه عدم مطلق؟

وأقول: كلا الكفرين سواء في الحقيقة متغايران في اللفظ، فالحكم علىٰ الله بأنه وجود مطلق عين الحكم عليه بأنه عدم مطلق، إذ أن الكلي بشرط الإطلاق لا وجود له إلا في الأذهان فقط، فلا وجود لكلي في الخارج اسمه الحيوانية أو الإنسانية مثلًا. وإنما هما أمران كليان ينتزعهما العقل من أفراد كلمي. وبهذا يتجلىٰ لنا أن الذين يقولون بأن الله وجود مطلق، إنما يحكمون عليه بأنه صورة ذهنية فحسب، ينتزعها العقل من استقرائه للموجودات، أي يحكمون عليه بأنه عدم، والعدم صورة ذهنية يتخيلها العقل، فأي فرق بين الكفر الصوفي والكفر الشيوعي؟

أقول هناك فرق، وهو أن الكفر الشيوعي منسجم مع نفسه، فلم يراءِ ليظهر

كفره إيمانًا، ولم يرد أن يتوتر تناقضه في كل كلمة، وإن كان كتابه ردغة رياء!!

أما الصوفية - وقد فهمت تمامًا أن القول بالوجود المطلق هو عين القول بالعدم المطلق - هربت إلىٰ أسطورة أخرىٰ، أو تناقض حاد، ذلك هو زعمها أن هذا الوجود المطلق[1] - أو العماء، أو الأحدية - انتقل من مرتبة الإطلاق إلىٰ مرتبة التعين، فكان هو هذه السماء وهذه الأرض، وتلك الكلاب، والخنازير والبغايا والمستعمر الخئون، والصهيوني الدنس. ثم لجأت إلىٰ تناقض آخر، فزعمت أن هذا الوجود المتعين أو المقيد هو عين الوجود المطلق!!

من ذا الذي أوحىٰ إلىٰ الوجود المطلق أن يتعين؟!

كيف يكون الله سبحانه عين الخنازير والكلاب؟!

هذا هو دين كل صوفي، ولا تسألني: كيف؟ بل سل هؤلاء الذين حادُّوا الله ورسوله، فسووا بين خاتم النبيين، وبين شيخ الشياطين.

وحدة الأديان:

كما مجد الأستاذ «محمود» دعوة الحلاج إلىٰ الإيمان بوحدة الأديان، وكل صوفي مُعَتق الصوفية في دنان الشيطان يدعو إلىٰ الإيمان بهذا، لا الحلاج وحده.

فابن عربي وابن الفارض والجيلي وغيرهم من النابحين بهذا النباح، وأبو حامد الغزالي في بعض همساته ووسوساته - وإن كان يحاول أن يضمخ النتن

---

(١) النابلسي في غلو التجريد، أو في غلو المادية والتجريد، يزعم أن هذا الوجود منزه حتىٰ عن الإطلاق، فهو وجود بلا قيد، أو هو وجود متعين دائمًا، فما مرت علىٰ الله لحظة دون أن يكون ظاهرًا في صورة من صور الخلق، إذ هو دائمًا ظاهر في المحدثات بذاته.

بعطر من الإيمان -!!.

والذي يثير الدهشة ويعرك أذنيها في قسوة أن الأستاذ «محمود» يرفض مثل هذا الإيمان إن حاولنا أن نغريه به في أمور لا تنتسب إلىٰ الدين، ولا تصل إلىٰ قمته الرفيعة، أو تدنو من أفقه القدسي الوضيء.

أتراه يستطيع أن يؤمن بأن الشيوعية عين الرأسمالية، أو يهمس حتىٰ بهذا بينه وبين نفسه، أو بأن الرومانتيكية عين الكلاسيكية؟ أو بأن الديموقراطية هي الأرستقراطية؟ وأن «ستالين» عين «بلدوين»، وأن «زينون» الرواقي عين «ذي النون» المصري. ولا أظنه يرضىٰ بأن يسوي في المفهوم بينه وبين أبي جهل، ولا بين ابن عربي وبين الشيطان!! وإن كنت أومن بهذه التسوية بين ابن عربي وملهمه الشيطان الرجيم في الفسوق والضلالة، أما في دين الصوفية فهما متساويان؛ لأن كلًّا منهما عين الله. غير أنا نقول: إن الصوفية ترتضي التسوية بين أبي بكر وأبي لهب وبين موسىٰ وفرعون، لتنسجم مع دينها في وحدة الوجود، ولكنها تعمد إلىٰ الكفر بهذه الوحدة إن سوينا نحن بين ابن عربي وأبي جهل.

وإذا كان الأستاذ «محمود» يرفض هذه التسوية التي عرضناها عليه، فكيف إذن يفرض علينا أن نؤمن بأن الإسلام هو عين الصليبية، والصهيونية والمجوسية والصابئية؟

لقد رفض رفضًا مُصِرًّا حتىٰ الهلكة أو عليها أن نسوي بين مفهوم «الشيوعية ومفهوم الرأسمالية».

أما في الدين فيطلب منا هو والصوفيون والشيوعيون أن نقدس دعوة الصوفية إلىٰ الإيمان بوحدة الأديان!!.

إن الإيمان بوحدة الأديان هو في الحقيقة إنكار للأديان، وكفر بالأديان، وجحود بالأديان.

الإيمان بوحدة الأديان هو إيمان بأنه لا وجود للأديان، وبألَّا قيمة للأديان.

والدعوة إلىٰ الإيمان بوحدة الأديان غايتها رفض الإسلام والكفر به، والتمرد عليه، والجحود به، وما ابتدع القول بوحدة الأديان في عصر من العصور إلا لهذه الغاية الدنسة.

ترىٰ هل نستطيع إقامة دولة إسلامية علىٰ شيوعية ورأسمالية معًا؟

فلماذا يراد منا أن نقيم القلوب علىٰ إسلام وجاهلية وصليبية؟

لماذا تريد الصوفية منا أن نؤمن بأن الصليبية حق، وأن الصهيونية حق، وأن المجوسية حق، وأن البوذية حق، وأن البرهمية حق، وأن الإسلام هو عين هذه الأديان الوضعية التي نزت بها نزوات، وفجَّرتها شهوات؟ بل أقول: لماذا تريد الصوفية - في الحقيقة - أن نكفر بالإسلام؟ أو أن نؤمن بأنه دين خيالات افترتها خيالات، وبأنه فنون من تهاويل جنون؟

إن الذي يمس قلبَه نفحةٌ من إيمان بأن اليهودية مثلًا حق، فإنه يؤكد بهذا أنه يكفر كفرًا صريحًا بالإسلام، والصوفية لا تحقد هي والشيوعية علىٰ دين كما يحقدان علىٰ الإسلام، ولو أن هذه الأمة استبدلت بالإسلام الصليبية مثلًا؛ لأندىٰ هذا من غليل الصوفية والشيوعية، ولخمد أوار حقدهما علىٰ أمتنا؛ لأنها صارت غير مسلمة.

إننا في مقاييسنا الحسية الذوقية لا نسوي أبدًا بين المرارة والحلاوة، أو بين الخشونة والنعومة، أو بين الحرارة والبرودة!!.

وفي مقاييسنا الخلقية لا نسوي بين الشر والخير، أو بين الرذيلة والفضيلة، أو بين

الكذب والخيانة والصدق والأمانة.

وفي مقاييسنا الفكرية لا نسوي بين النقيضين، أو بين الضدين، ولا بين الحق والباطل، ولا بين الصواب والخطإ، هل نستطيع أن نحكم علىٰ الشيء بأنه موجود وغير موجود في وقت واحد؟ وبالتساوي التام بين مفهوم الوجود ومفهوم العدم؟

وفي مقاييسنا الاقتصادية لا نسوي بين الشيوعية والرأسمالية، بل لا نسوي حتىٰ بين الرأسمالية المستغلة والرأسمالية الوطنية!!.

وفي مقاييسنا الأدبية لا نسوي بين الشعر والنثر، ولا بين أدب الخطابة وأدب الكتابة، ولا بين الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي، ولا بين شعر شوقي وشعر حافظ.

أما في مقاييسنا الدينية، فالصوفية تفرض علينا أن نؤمن بأن الهدىٰ عين الضلال، وبأن الإيمان عين الكفر، وبأن التوحيد الخالص عين الشرك الغليظ، وبأن الإسلام هو الصهيونية، والمجوسية، والصليبية والبوذية هو عين كل هذه المتناقضات من ردغة الضلالات، وحمأة الزندقات.

بل أن نؤمن بأنه لا دين اسمه الإسلام، ولا كتاب اسمه القرآن، ولَا رب اسمه الله!! إنما الرب هذا الكون بما فيه ومن فيه!!.

وفي هذا تعانق الشيوعية الصوفية، فكلاهما إِلْبٌ علىٰ الإسلام، وما عنيت الشيوعية بالقضاء علىٰ دين، كما عنيت بالقضاء علىٰ الإسلام، ففي الأديان الوضعية عوامل كفيلة بالقضاء علىٰ هذه الأديان، ثم هي تصالح غايات الشيوعية التي تستهدف القضاء علىٰ الإسلام.

إن الشيوعية في حربها للأديان الوضعية تعلم أنها تحارب فتنة شيطان وشهوات إنسان، أما في حربها للإسلام، فهي تعلم أنها تحارب هداية القهار الديان، ولهذا تجِدُّ

في حربه والكيد له، والائتمار به بكل وسيلة، ولهذا أيضًا منيت بالهزيمة في كثير من المعارك التي خاضتها ضد هذا الدين القويم، وما كان انتصارها في بعض معاركها إلا نتيجة حتمية لسبب واضح، هو أن الذين حاربوها باسم الإسلام لم يكونوا مسلمين، ونحن نشهد في هذه الأيام حفاوة كبيرة من الشيوعية بأفق الصوفية وإفكها؛ لأن الصوفية - كما رأينا - حفية بالقضاء علىٰ القرآن، ودين القرآن، وأمة القرآن، والكفر برسول القرآن والرب الذي نزل القرآن!.

إن القرآن يلعن كل هذه الأديان الوضعية التي ابتدعتها ضلالات الذين كدوا في سبيل استعباد البشر لأهوائهم ونزواتهم، وسلوا التاريخ عمن افترىٰ اليهودية أو الصهيونية؟ وسلوه عن الصهيوني الخبيث الذي ابتدع الصليبية، ونحن نرضىٰ جواب التاريخ.

فما للصوفية - والقرآن يلعن كل هذه الأديان - تدعونا إلىٰ الإيمان بها وبقداستها، وبسموها العظيم، وإلىٰ التسوية التامة بينها وبين الإسلام؟ تقترف الصوفية هذا والله يقول: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، ويقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وبعد التدبر نسأل كيف يكون المرء مسلمًا يهوديًّا مشركًا في وقت واحد!!.

إن الشيوعية والصوفية تؤكدان لنا أن هذا المستحيل الذي يشهد العقل والواقع باستحالته يتجلىٰ كثيرًا في أفق الإمكان الرحيب!!.

قد يكون هذا المستحيل ذا وجود في هوىٰ الشيوعي والصوفي، وتصورهما لمستقبل أمتنا الإسلامية!! ولكن الله غالب علىٰ أمره ولو كره المشركون.

أما المسلم فيدين بأن الله سبحانه لم ينزل علىٰ البشر دينًا غير دين الإسلام؟ ويؤمن بأن الله قد أرسل بهذا الدين وحده رسله تترىٰ مبشرين ومنذرين إلىٰ أن خُتم أنبياؤه بمحمد ﷺ.

لا دين سوىٰ الإسلام، يؤمن المسلم كما يقرر القرآن بأن نوحًا وإبراهيم وموسىٰ وداود وسليمان وعيسىٰ كانوا رسلًا من رسل الإسلام.

ويؤمن بأن الله أرسل محمدًا بالإسلام كاملًا، وبالنعمة تامة، وبرسالته ختمت الرسالات، وبنبوته ختمت النبوات، فلا كتاب للإسلام بعد كتابه، ولا نبي للإسلام بعد نبوته ﷺ، ولا يقر المسلم أبدًا بما يهدف به خَرَف الجهال، ووثنية الجاهلين بأن هذا الشرق كان مهبط أديان سماوية متعددة، وإنما يقر ويدين بأنه كان مهبط دين واحد، هو دين الإسلام.

وفي القرآن آيات كثيرات تؤيد هذه الحقيقة التي أفلح المستعمر في أن يجعلها أمام أعيننا غريبة يجحد بها اللب، أو ضلالة يتمرد عليها القلب، فنعلِّم أبناءنا في المدارس ما يصرفهم عن هذه الحقيقة المشرقة؛ إذ نؤكد لهم في الكتب التي يدرسونها أن الشرق هو مهبط الأديان السماوية واليهودية والمسيحية والإسلام، وهكذا نسوي بين ما افترته شهوات البشر، وبين ما نزل رب البشر!!.

وهكذا نؤكد للصهيونية إيماننا بها، وبأن موسىٰ كان صهيونيًّا - واليهودية هي الصهيونية - وبأن عيسىٰ كان صليبيًّا، مع قول الله سبحانه عن موسىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وقوله - جل شأنه - عن حواريي عيسىٰ: ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

غير أن القرآن قد قرر وحدة الدين الذي دعا إليه الرسل جميعًا، قرر أنه كان لكل رسول شرعة ومنهاج، وبرَّأ أنبياء بني إسرائيل من اليهودية والنصرانية، وأثبت لنا أنهم جميعًا كانوا أنبياء الإسلام. تدبر قول الله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقوله: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة: ١٣٥].

وقوله: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ [المائدة: ٤٤].

فهل تستنشي من هذا الهدىٰ ريًّا اعتراف باليهودية والنصرانية.

إنك لتبصر لعنة الله ترجم هذه المفتريات السود الأضغان!!.

وترىٰ البرهان المشرق من القرآن؛ بأن الإسلام وحده هو الذي كان يدعو به وإليه، كل رسول ونبي وولي وشهيد وصديق ورباني!!.

وترىٰ القرآن يفرض علينا أن نؤمن بأن الله سبحانه ما أنزل من يهودية ولا نصرانية، ولا مجوسية، ولا بوذية، ولا برهمية، ولا صابئية ولا غير هذا مما أفك المبطلون!!.

فكيف تفرض علينا الصوفية وأختها الشيوعية أن نسوي بين ما أنزل الرحمن، وبين ما افترىٰ الشيطان؟!

أما من يأتينا بأقوال تثبت غير ما يثبت القرآن، فسنقول له: إننا لن نضرب قول الخالق بقول المخلوق، ولن نبغي علىٰ صدق الرب الحكيم بكذب العبد الزنيم، ولن نتجاوب أبدًا مع فرية ملعونة يفتريها ملعون!!.

وإليك بعض النصوص من كتب أئمة الصوفية، تشهد لما يثبت من دين الصوفية، ومن شاء سعة بيان فليقرأ كتابيَّ «هذه هي الصوفية، ومصرع التصوف».

يقول ابن عربي:

عقد الخلائق في الإله عقائدًا وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

ويقول في ص(١٩٥) من الفصوص:

(**والعارف المكمَّل**: من رأىٰ كل معبود مَجْلًىٰ للحق يُعْبَد فيه؛ لذلك سَمَّوْه كلهم إلهًا مع اسمه الخاص بحجر، أو شجر، أو حيوان، أو كوكب، أو ملَك).

هكذا يصوب ابن عربي عبادة الحجر والشجر والحيوان.

هكذا يحكم بربوبية الحجر والشجر والحيوان.

هكذا يحكم بأن الله هو عين الحجر والشجر، والحيوان، والكوكب والملَك، والشيطان.

فما رأي عميد كلية أصول الدين في هذا الدين؟

يقول في ديوان شعره:

لقد كنتُ قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلىٰ دينه داني
لقد صار قلبي قابلًا كل صورة فمرعىٰ لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنَّىٰ توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

ويقول: (فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص، وتكفر بما سواه، فيفوتك خير كثير، بل يفوتك العلم بالأمر علىٰ ما هو عليه، وكن في نفسك (هيولي) لصور المعتقدات كلها، فإن الله تعالىٰ أوسع وأعظم من أن يحصره عَقْد دون عقد فالكل مصيب، وكل مصيب مأجور، وكل مأجور سعيد، وكل سعيد مرضي عنه). ص(١٩١) وما بعدها فصوص الحكم ط ١٣٠٩.

في شعره الأثيم يعترف كاهن الصوفية الأكبر أنه صليبي وثني يهودي مسلم!! وفي هذا يهلل له عشاق باطله، ولو أنه قال: أنا شيوعي رأسمالي لرجموه بكل لعنة!!.

فشيوعية ماركس ولينين أعز عندهم من دين رب العالمين!!.

وفي نصه الثاني يحذرنا من أن نتخذ لنا دينًا خاصًّا، ونكفر بما سواه مما اتخذ البشر من أديان.

يحذرنا من الإيمان بالإسلام مع كفرنا بتلك الأباطيل التي اتخذت أديانًا من دون الإسلام، فإن هذه الأباطيل، وإن كانت من صنع البشر ووضعهم، إلا أنها أيضًا من صنع الله ووضعه، لأنه عين هؤلاء البشر.

وتأمل حكمه علىٰ اليهود بأنهم مصيبون!!.

تأمل حكمه علىٰ الصليبيين بأنهم مصيبون!!.

تأمل حكمه بأن الله راض عن الصليبيين!!.

تأمل حكمه بأن الله راض عن الصهيونيين!!.

تأمل حكمه علىٰ هؤلاء العدو الألد الخصام بأن لهم عند الله أجرًا عظيمًا!!.

كلهم مؤمنون، كلهم ناجون، كلهم مأجورون!!.

غير أنا نعرض على العقل - إن كان للشيوعية وللصوفية عقل - ما يأتي:

لقد قال اليهود والصليبيون عن الله ما يأتي: (فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمله). وقالوا: (وسمع وسمعا هوة الرب الإله ماشيًا في الجنة)، وقالوا: (فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه)، وقالت: (فتنسم الرب رائحة الرضىٰ وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض). وقالوا عن الله ويعقوب: (فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتىٰ طلوع الفجر ولما رأىٰ أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه)، والإنسان هنا هو الله الذي زعموا أن يعقوب كان يغلبه!!.

وقالوا عن علاقة الله ببني إسرائيل: (وكان الرب يسير أمامهم نهارًا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلًا في عمود نار ليضيء لهم، لكي يمشوا نهارًا وليلًا).

وقالوا أيضًا عن موسىٰ وهرون وناداب وأبيهو(١) وسبعين من شيوخ إسرائيل أنهم: (رأوا إله إسرائيل، وتحت رجليه شبه صدفة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء، في النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلىٰ أشراف بني إسرائيل، فرأوا الله وأكلوا وشربوا) وقالوا عن موسىٰ أنه قال لله: (ارجع عن حمو غضبك، واندم علىٰ الشر بشعبك... فندم الرب علىٰ الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه)، وقالوا عن الله: (لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك، فلما رأىٰ الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة، ندم الله علىٰ الشر الذي تكلم بصنعه بهم فلم يصنعه)، ما هذا الإله الذي يندم، ويصارعه إنسان؟!

---

(١) ناداب وأبيهو ولدا هرون كما يؤرخ اليهود.

وقالت الصليبية عن الله: (إنه سجن في بطن مريم، وأنه نزل من فرجها، وأنه صلب وأنه قبر، وأنه قام)، وقالت علىٰ لسان اليهودي بولس وهو يعلم كراهية إسماعيل عليه السلام وكراهية العرب جميعًا؛ ويدعو إلىٰ عصبية مرذولة: (إنه كان لإبراهيم ابنان: واحد من الجارية، والآخر من الحرة، لكن الذي من الجارية ولد حسب الجسد، وأما الذي من الحرة فبالموعد). وكل ذلك رمزًا لأن هاتين هما المهدان أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذي هو هاجر؛ لأن هاجر جبل سيناء في العربية، ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة، فإنها مستعبدة مع بنيها، وأما أورشليم العليا التي هي أمنا جميعًا فهي حرة. لكن ماذا يقول الكتاب: (أطرد الجارية وابنها؛ لأنه يرث ابن الجارية مع ابن الحرة، إذًا أيها الإخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد حرة). فماذا يقول الأستاذ محمود؟ والدكتور عبد الحليم، ودين الصليبية يفرض هذه الحمية المقيتة، ويحقر من شأن العرب جميعًا؟!

ورمت اليهودية سليمان بعبادة الأصنام، وبهتت داود بالزنا والقتل الأثيم، ومريم بالخطيئة، ويعقوب بالخيانة، وسفحت دماء الأرامل واليتامىٰ ظلمًا وعدوانًا، فلها في الحرب شريعة تقول: (حين تقرب من مدينة - لكي تحاربها - استدعها إلىٰ الصلح، وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويستعبد لك، وإن لم تسالمك، وعملت معك حربًا، فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلىٰ يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم، وكلُّ ما في المدينة كُلْ غنيمتها فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهُك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء العرب التي يعطيك الرب إلهك نصيبك، فلا تستبق منها

نسمةً ما، بل تحرمها تحريمًا الأشوريين والحوثيين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك)⁽¹⁾.

وبهذا الدين خربت اليهود ما خربت، وبغت علىٰ من بغت، وعصفت بالأمن والسكينة عصف الإعصار المدمر بالزهور الباسمة!!.

وظاهرتها الصليبية في عدوانها الأثيم، فهي لا تنقض حرفًا واحدًا من شرعة اليهود، وعاثت في الأرض فسادًا وظلمًا. وعدوانًا، فهل تقول عن هؤلاء إنهم مصيبون؟

* * *

---

(١) تكوين إصحاح رقم (٢)، وإصحاح رقم (٣)، وإصحاح رقم (٦)، وسفر التكوين إصحاح (٣٢)، وسفر الخروج إصحاح (١٣)، إصحاح (٢٤)، (٣٢)، وسفر يونان إصحاح (٣) ورسالة بولس إلىٰ أهل غلاطية إصحاح (٤)، وسفر تثنية إصحاح رقم (٢٠).

الشيوعية تعانق الصوفية (٢)[١]

كتب الأستاذ «محمود أمين العالم» في مجلة المصور يدعو إلىٰ أن نجعل من التصوف أساسًا لتجاربنا الإنسانية الجديدة، ومجد فيها مجد دعوة الصوفية إلىٰ الإيمان بوحدة الوجود، ووحدة الأديان، والحقيقة المحمدية، والإنسان الكامل.

وقد رددنا عليه في العدد السالف، ونتابع الرد عليه في هذا العدد؛ وقد عرضنا للصهيونية وللصليبية ولما يحكمان به علىٰ الله سبحانه، ثم نقول:

أفنقول عن هؤلاء - كما يقول ابن عربي -: (الكل مصيب، وكل مصيب مأجور؟!).

أنحكم علىٰ أولئك الذين حادُّوا الله ورسوله، وبغوا في الأرض بأن الله راض عنهم، وبأنهم أصابوا فيما اقترفوا من جرائم، وبأن لهم عند الله - علىٰ بغيهم - أجرًا عظيمًا؟!

ولقد افترىٰ اليهود الكذب، وسفحوا دماء الأطفال، ليمزجوه بفطيرة عيد الفصح، وقتلوا الأنبياء ورجموا المرسلين، وباعوا أعراضهم بثمن بخس، فهل علىٰ الله نحكم بأنه المقترف لهذه الجرائم؟

أما المسلم فيقول: تعالىٰ الله عن هذا علوًّا كبيرًا، أما الصوفية فيزعم لهم طاغوتهم الأكبر محيي الدين بن عربي في ص (٨٠) من كتابه: فصوص الحكم أن الله سبحانه يوصَف بالخسيس الدنيء من تلك الصفات: لأن الله (يظهر بصفات المحدثات

---

(١) (١٢/ ١٣٨٤).

- وأخبر بذلك عن نفسه - وبصفات النقص، وبصفات الذم، ألا ترىٰ المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها إلىٰ آخرها - وكلها حق له - كما هي صفات المحدثات حق للحق)، صفات الله من ربوبية وألوهية، وخالقية ورازقية، وقدرة قاهرة، وعلم محيط بما ظهر وما بطن، كل هذه الصفات حق للمخلوق.

وصفات الأرذال الأنذال من كذب ونفاق ورياء، وغدر وخيانة وغيرها من صفات السوء والعار، كلها من صفات الله!!.

وقد أكد ابن عربي في ص (٧٩) من كتابه الفصوص أن الله سبحانه لا تفوته صفة أبدًا سواء أكانت - كما هو نص تعبيره - محمودة عرفًا وعقلًا وشرعًا، أو مذمومة عرفًا وعقلًا وشرعًا، وزاد كفره فحشًا وقحة فعقب علىٰ هذا بقوله: (وليس ذلك إلا لمسمىٰ الله تعالىٰ خاصة).

هل يرىٰ عقل ما أن هذا أمرًا ممكنًا؟

أوفي الذي يمكن أن يسكن إليه عقل بتصديق ما أن يكون المرء مجوسيًّا يهوديًّا صليبيًّا مسلمًا في وقت واحد؟! أن يكون في دركات الضلالة، وموبق العصيان، وفوق ذروة الهدىٰ، وفي منجاة الطاعة؟! أن يكون صالحًا في كل شيء، طالحًا في كل شيء؟!

وإذا كان الله بهذه الصفة الخسيسة - تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا - فكيف نعبده، أو ماذا تستفيد الإنسانية من عبادته وهو خئون غدور كنود؟ وهل تلهمنا عبادته التطلع إلىٰ المثل العليا، والكفاح في سبيل تحقيق القيم الزاكية؟ وهل تصدق - بعد هذا - أن للأخلاق قيمًا وموازين؟ تَصَوَّرْ حاكمًا يجمع بين هذه المتناقضات من الأخلاق والصفات: أمانة وخيانة، صدق وكذب، علم وجهل، كرم وبخل، شجاعة وجبانة، قوة وضعف؛ أيمكن أن يتصوره الأستاذ محمود؟

فكيف إذن تتصوره الصوفية في الرب المعبود؟!!

وإليك ما يقوله الصوفي الكبير عبد الكريم الجيلي؛ مفسرًا قول الله لموسىٰ عليه السلام: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه: ١٤]: (يعني الإلهية المعبودة ليست إلا أنا، فأنا الظاهر في تلك الأوثان والأفلاك والطبائع، وفي كل ما يعبده أهل كل ملة ونحلة في تلك الآلهة كلها إلا أنا؛ ولهذا أثبت لهم لفظة الآلهة، وتسميته لهم بهذه اللفظة من جهة ما هم عليه في الحقيقة تسمية حقيقية لا مجازية).

لأن الحق سبحانه وتعالىٰ عين الأشياء، وتسميتها بالآلهة تسمية حقيقية.

أراد الحق أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر وأن حكم الألوهة فيهم حقيقة، وأنهم ما عبدوا في جميع ذلك إلا هو. فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه: ١٤]، أي: (ما ثم من يطلق عليه اسم الإله إلا وهو أنا) ص(٦٩) جـ(١) الإنسان الكامل ط ١٢٩٣.

وإلىٰ هذا ذهب ابن الفارض في تائيته الكبرىٰ.

فهل يريد منا الأستاذ «محمود» أن نحترم هذا، أو أن نؤمن به، أو أن نجعله لنا في حياتنا منارًا وشعارًا!!.

(**الله عين الأشياء! أو**: ليس الله غير هذه الأشياء، أو ما لله من وجود غير هذه الأشياء، أو هذه الأشياء هي عين الله).

أي جحود موغل في المادية، مستغرق في العمه والجاهلية؟!

ولكنه دين الصوفية!!.

(ما ثم غير هذه الأشياء). وهذه هي دين الشيوعية!.

فانظر، وفكر: هل ترىٰ ثَمَّت فرقًا في هذا بين دين الصوفية، ودين الشيوعية، إن كان يباح لنا أن نقول عن الإلحادية الصماء إنها دين؟

أَوَ يَشْفَعُ للصوفية أنها تحكم علىٰ الله بأنه مادة تسلح فوقها الغربان، وتبول الكلاب، ويقيء الخاطئون، ويعربد المستعمرون؟.

أَوَ تنتسبُ الصوفيةُ إلىٰ الإيمان بأنها تحكم علىٰ هذه المادة بأنها هي الله؛ أو علىٰ الله بأنه هو عين هذه المادة؟!

إن الكفر الصريحَ أهون شرًّا من كفر يضمخ نفسه بعطر الإيمان، والذي يقتل وعلىٰ فمه لعنات مدمدمات، خير ممن يفتك وعلىٰ شفتيه بسمات وقبلات.

الشيوعية تقتل وهي تتوعّد، والصوفية تفتك وهي تتودد؛ الشيوعية تقتل بالخنجر، والصوفية تخنق بحبل المسبحة!!

ثم أقول: إذا كان الكفر عين الإيمان، والضلال عين الهدىٰ، فلماذا بُعِث النبيون، وأرسل المرسلون، وتقام المساجد، وتشيد المعاهد، ويجاهد في سبيل المراشد، وتكافح الضلالة والجاهلية؟

وإذا كانت الأديان كلها سواء، فلماذا تحاول الصوفية والشيوعية فتنتنا عما نؤمن به؟ لماذا تجالد ناصبةً في سبيل أن نكفر بالقرآن، ورسول القرآن، ومنزل القرآن؟

أرأيتم!! إن الأمر ليس دعوة إلىٰ وحدة الأديان، وإنما الأمر هو القضاء علىٰ سيد الأديان!! القضاء علىٰ الإسلام، هذا وحده هو الهدف!!

الحلول:

ومما يمجده الأستاذ «محمود أمين العالم» من زندقة الحلاج ما افتراه من حلول الله في الكائنات.

هذا الكون في دين الحلاج الخبيث خالق مخلوق، أو إلهٌ مألوه، أو رب مربوب!!

وهذا الإنسان باطن وظاهر. باطنه لاهوت، أو الرحمن، وظاهره ناسوت، أو

الإنسان!!

حتىٰ هذا الأَفَن من ضلالات الزندقات، حتىٰ هذه الأسطورة المأفونة التي لا يحنو عليها إلا مَدْخول، أو ملعون.

إنها ليست من ابتداع الحلاج!.

إنه سارق كفرٍ، ومختلس ضلالة!!.

إنه ليس بين الكفرة سوىٰ مقلد سوء، ويد قذرة سُخرت، لتقترن الجريمة ضد الدين الذي آواه وآساه برحمته، وتركه يعيش بلَا خوف ولا قلق في مجتمعه الرحيب الفسيح الرحيم، فأبىٰ إلا أن يعمل في سبيل أن يبيع الدولة للقرامطة!!.

إن كفره «الحلول» دين قديم، أو لعنة دانت بها الوثنية الهندية والفرعونية واليونانية، ومنه استمدت الصليبية عقيدتها!.

وقد نجم الحلاج كالشيطان؛ ليفسد علىٰ الإسلام أمته ودولته ناعقًا بهذا الكفر القديم، ووراءه المؤتمرون الكائدون للإسلام في سحر البيان، ومكر الشيطان، يبشرون بالحلولية الحلاجية زاعمين أنها أقدس روحانية، بها وحدها كان الإسلام خير دين، وأكمل دعوة!.

ولنصغ إلىٰ نعيقه، وثمت لن نميز بينه وبين صهيونية «فيلون»، وصليبية «أفلوطين»!.

(سبحان من أظهر ناسوتُه   سِرَّ سنا لا هوتِه الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرا   في صورة الآكل والشارب
حتىٰ لقد عاينه خَلْقُه   كلحظَةِ الحاجِبِ بالحاجب)

إنه حين يزمزم بهذه اللعنة في خرف الذي عربد بخمرة قذرة مع أوشاب ليلة نجسة!! إنه بها يذكرنا بعرابيد الفتنة من قبله، ولا سيما بأولئك الذين اختلقوا الصليبية؛ فمنهم سرق الحلاج ألفاظه ومعانيه، غير أن الصليبية لم تأخذ مأخذه، ولم تبعد في الضلالة إبعاده؛ لأنها دانت بحلول الله في نبي، أما القرمطي الشعوبي الحلاج فقد زعم أن الله يحل في النبي وفي البغي، وفي العبقري والغبي، وفي الصالح والطالح، وفي الطاهر والداعر، وفي المؤمن والكافر.

وأنه حل في الصنم «يغوث» بالمقدار الذي حل به في نوح، وحل في «آزر» كما حل في الخليل إبراهيم، وحل في فرعون حلوله في موسىٰ، وحل في «قيافا» حلوله في عيسىٰ، وحل في أبي لهب حلوله في خاتم النبيين. تُرىٰ أيقول الصوفية أنه حل في «راسبوتين» كما حل في «محيي الدين»؟!

ولئن استفتينا «محيي الدين بن عربي» في هذا فإننا سنجد من دينه أن ربوبية فرعون كانت أتم وأكمل من ربوبية موسىٰ، واقرأوا «الفصوص»، ففيها الكثير من النصوص!!.

فهل يريد منا الأستاذ «محمود أمين العالم» أن نطوي عقيدتنا علىٰ هذا الدَّخَل اللعين؟ وهل يهدي الإيمان بهذه الحلولية إلىٰ خير؟

إذن فليؤمن بأن طغاة الرأسمالية عين بغاة الشيوعية.

وإذا كان الأمر كما يزعم، وتزعم الصوفية التي تمده اليوم بما يريد من تراث يناهض الإسلام، فلماذا يلعن الاستعمار، ويرجم الصهيونية والصليبية؟.

لماذا نجالد الاستعمار في الجنوب المحتل، ونناضل في سبيل تطهير الأرض المقدسة من رجس الآبقين؟

لماذا نحارب الجريمة، ونلعن الرذيلة، ونسعىٰ إلىٰ تحقيق أقدس القيم؟ أليس المستعمرون - في دين الحلاج وأذنابه وأوشابه - هم الناسوت الذي فيه حل اللاهوت؟ فكيف نعدو علىٰ الألوهية بعدوان، أو نبغي علىٰ الربوبية ببغي؟

لا يا أستاذ!! واسمعها صاخَّة تُدَوِّي بها كل حاضرة وبادية، ومفازة ومنجاة: إن دعوة الحلول ووحدة الوجود والأديان، تجعل ممن يدينون بها ظهورًا معبدة للخيانة الآثمة، وأيديًا تصنع الجريمة، وألسنة تلوك الكلمة الخائنة الكافرة، وأقدامًا باغية تنتهك أطهر الحرم!!.

تجعل منهم خونة مارقين يجب أن يرجمهم باللعنة كل مؤمن، بل كل إنسان.

كل إنسان له شرف كرامة، أو شرف وطن، أو شرف آدمية، وله لمحة من عقل، ونعمة من دين؛ وليدرس الأستاذ «محمود أمين العالم» هذه الأساطير دراسة جادة تستهدف الوصول إلىٰ الحقيقة، ولعله يجد فيها أقول صوابًا!.

إننا حين ننظر إلىٰ ما بين أيدينا وما خلفنا، وما حولنا من الأشياء بهذه النظرة الحلاجية، إننا إن فعلنا هذا تردينا في متناقضات ليس لهوة منها قرار.

إننا سنشعر نحو كل شيء بما يشعر به العبد نحو الرب، سنرمقه خاشعين وكأنما عليه جلال الربوبية والألوهية، سنحبس ألستنا علىٰ الصلاة بين يديه، وقلوبنا علىٰ الضراعة له، والرجاء فيه.

بالنظرة الحلاجية سيرىٰ كل امرئ في نفسه إلهًا يجب أن يخشع له الكون ويهطع، ويعنو ويخضع، سيدعو الناس إلىٰ تقديس ما يقترف من جريمة، واحترام ما يعربد به من خطيئة؛ لأنه يصدر في كل عمل يأتي به، أو قول يردده عن ربوبية قاهرة تحيط بالكائنات علمًا وقدرة، وتدبيرًا وحكمة!!.

فهل يُصلح العالمَ أن يزعم كل من فيه أنه وحده الإله؟

وهل يسمو بكرامة الإنسانية أن تقدس جيفة وتعبد رمة، وتأتم بخنزير؟

وهل يصدقها الأستاذ «محمود» إذا نبح بها استعماري؟

وهل يرمق بهذه النظرة «ابن جوريون»؟

إني لأرجو الأستاذ «محمود» أن يتصور - والمستحيل قد يتصور - لهذه الحلولية تطبيقًا، ثم أرجوه أن يصور لي حال العالم عند هذا التطبيق إذا زعمنا أن الإمكان يجد له قيد أنملة!!.

الحقيقة المحمدية:

ويشيد الأستاذ «العالم» بالأساطير التي نسجتها عناكب الصوفية حول ما يسمىٰ: بالحقيقة المحمدية، فما الحقيقة المحمدية عند الصوفية؟

يرىٰ كهنة الصوفية أن الله سبحانه كان وجودًا مطلقًا، لا يعرف، ولا يسمىٰ، ولا يوصف، ثم أراد هذا الوجود أن يكون له اسم، وأن تكون له صفة، وأن يعرف نفسه، فتعين، فكان أول تعين له هو «الحقيقة المحمدية»، وعن هذه تشعبت مظاهر الوجود، وتكاثرت تعيناته، فكانت السماء والأرض، وكان الإنسان والحيوان، والنبات والجماد، والبر والبحر، والسهل والجبل، وإليك بعض ما عرف به الصوفية الحقيقة المحمدية: (هي الذات مع التعين الأول، وهي الله الأعظم)، (صور الحق هو محمد لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحدية).

فالحقيقة المحمدية - أو حقيقة محمد - هي ذات الله، واسمها الأعظم، والحقيقة المحمدية هي الأحدية، وهي الواحدية.

ولا أقول عن هذه الحقيقة: صلىٰ عليه الله وسلم؛ لأنها ليست حقيقة محمد ﷺ،

وإنما هي خسار ضلالة، وعار جهالة، وبوار شهوة آبقة!!.

ولنأت بما عرف به الصوفية هذه الثلاثة: «الاسم الأعظم، الأحدية، الواحدية»؛ لنعرف حقيقة دينهم في الحقيقة المحمدية.

الاسم الأعظم هو عند الصوفية: (الجامع لجميع الأسماء، وهو اسم الذات الإلهية من حيث هي هي - أي المطلقة).

والأحدية هي: (مجلىٰ الذات الإلهية ليس للأسماء، ولا للصفات، ولا لشيء من مؤثراتها فيه ظهور، اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقية والخلقية).

والواحدية هي: (مجلىٰ ظهور الذات فيها صفة، والصفة فيها ذات)[1]. الأحدية هي الوجود الإلهي المطلق قبل أن يتعين في شيء أو قبل أن يسمىٰ، وأن يوصف.

والواحدية هي مرتبة الوجود الإلهي بعد أن صارت له صفة.

الاسم الأعظم هو اسم الحقيقة الإلهية في تعينها الأول ومحمد هو الأحدية والواحدية والاسم الأعظم!!.

محمد الصوفية هو الله في وجوده المطلق، ووجوده المقَيَّد وَالمعيَّن.

محمدها هو ذات الله وأسماؤه وصفاته!!.

محمدها هو ظاهر الله وباطنه!!

محمدها هو هذا الوجود العيني المتجسد في هذا وذاك من الأشياء ذات الكيان المادي البحت!!

وانظر هذه القضايا الصوفية التي يراها الصوفية قضية واحدة صادقة كل

---

[1] (جامع الأصول في الأولياء) تحت هذه المواد و(جـ١/ صـ٣٠) من الإنسان الكامل للجيلي.

الصدق: الله هو محمد!! ومحمد هو الله، فالموضوع عين المحمول!! وتأمل هذه القياسات الصوفية التي تنتهي بنتيجة واحدة لا يرتاب فيها صوفي!!

الله هو محمد، ومحمد هو الكون!!

محمد هو الله، والله هو الكون!!

الله هو الكون، والكون هو محمد.

والنتائج التي هي في حقيقتها نتيجة واحدة يؤمن بها كل صوفي، ويراها معراجه، وإليك هذه النتائج: الله هو الكون، ومحمد هو الكون، والكون هو الله، والله هو محمد!!

ومن الكائنات الأوثان، والخنازير، والكلاب المسعورة!! فهل يصدق عقل أن الأوثان الصماء تلهم الحكمة والنبوة؟

وهل يصدق عقل أن الخنزير ينشر عبير القداسة؟

وهل يصدق عقل أن الضبع المنتنة تبث روحانية الإيمان؟!

أليس الخنزير خلقًا؟ أليس الضبع هي الذات والاسم والصفة؟!

تعالىٰ الله عما يفتري الظالمون علوًّا كبيرًا!!

اعتقد يا أستاذ ما شئت، ولكن برك بهذه الأمة التي تنتسب إليها. وترفل في سماحتها يفرض عليك ألا تحمل الناس علىٰ ما تعتقد، فلهذه الأمة كتابها الذي يهدي للتي هي أقوم!!

خاتم النبيين ﷺ في القرآن:

تدبر هذه الآيات المحكمات: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [فصلت: ٦]، وقيلت هكذا مرتين في القرآن، ثم تدبر أيضًا: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا

مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ ﴾ [الأحقاف: ٩]، أفهذه ربوبية خلاقة قاهرة لها الغنىٰ المطلق، وألوهية معبودة تمد بالوحي الرسل؟ إنها بشرية مثل بشريتنا تستمد من الله القوة والحياة، ولكنها تمتاز بأنها من مشارق وحي الله!! فلنتل قول الله مخبتين: ﴿ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾ [الإسراء: ٨١].

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشيوعية تعانق الصوفية (٣)[١]

الإنسان الكامل:

ومما مجده الأستاذ «محمود» هو ما يعرف عند الصوفية بالإنسان الكامل.

وكلنا يتمنىٰ أن يكون إنسانًا كاملًا.

غير أن الإنسان الكامل في دين الصوفية ليس هو الإنسان الكامل في دين الحق، كما أنه لا ينتسب بشيء من مفهومه إلىٰ عقل أو عرف أو لغة.

الإنسان الكامل في دين الصوفية هو الله سبحانه. ولقد مر بك قول ابن عربي في ص (١١١) من «فصوصه» عن الله أنه «الإنسان الكبير».

ومن أجل هذه الأسطورة الخرقاء ألف عبد الكريم الجيلي كتابه الكبير «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل».

وإليك بعض قوله فيه: (اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلىٰ آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلىٰ أبد الآبدين، ثم له تَنَوُّع في ملابس، ويظهر في كنائس)، ثم يقول: (اعلم أن الإنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك بحكم المقتضىٰ الذاتي؛ فإنه المعبَّر عن حقيقته بتلك العبارات والمشار إلىٰ لطيفته بتلك الإشارات، ليس لها مستند في الوجود إلا الإنسان الكامل، فمثاله للحق مثال المرآة التي لا يرىٰ الشخص صورته إلا فيها، وإلا فلا

---

(١) (١/ ١٣٨٥).

يمكنه أن يرىٰ صورة نفسه إلا بمرآة الاسم الله، فهو مرآته. والإنسان الكامل أيضًا مرآة الحق، فإن الحق تعالىٰ أوجب علىٰ نفسه ألَّا تُرىٰ أسماؤه وصفاته إلا في الإنسان الكامل)، ثم يتحدث عن محمد ﷺ، وهو عندهم الحقيقة المحمدية أو الله سبحانه في صورة بشرية؛ أو الإنسان الكامل الذي هو أعظم تجسد للحقيقة الإلهية:

شَمْسٌ علىٰ قطب الكمال مضيئةٌ   بدرٌ علىٰ فلك العلا سَيَرانُه
أَوْجُ التعاظم مركز العز الذي   لِرَحىٰ العلا مِن حَوْله دورانُه
مَلِكٌ وفوق الحضرة العليا علىٰ الـ   ـعرش المكين مُثَبَّتٌ إمكانُه
ليس الوجودُ بأسره إن حققوا   إلا حُبَابًا طفحته دنانُه
الكل فيه، ومنه كان، وعنده   تَفْنىٰ الدهور، ولم تزل أزمانُه
فالخلق تحت سما علاه كخردل   والأمر يبرمه هناك لسانُه
والكون أجمعه لديه كخاتم   في أصبع منه أجَلْ أكوانُه
والملك والملكوت في تياره   كالقطر بل من فوق ذاك مكانه
وتطيعه الأملاك من فوق السما   واللوحُ يُنْفذ ما قضاه بَنَانُه(١)

كما يقول وهو يتحدث عن الأحدية: (الأحدية عبارة عن مجلىٰ الذات ليس للأسماء ولا للصفات، ولا لشيء من مؤثراتها فيه ظهور، فهي اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقية والخلقية، وليس لتجلي الأحدية في الأكوان مظهر أتم منك إذا استغرقت في ذاتك ونسيت اعتباراتك، وأخذت بك فيك عن ظواهرك، فكنت أنت في أنت من غير أن ينسب إليك شيء مما تستحقه من

---

(١) صـ (٥٠، ٥٢/ جـ٢) الإنسان الكامل.

الأوصاف الحقية، أو هو لك من النعوت الخَلْقِية، فهذه الحالة من الإنسان، أتم مظهرًا للأحدية في الأكوان.. وهو أول تنزُّلَات الذات من ظلمة العماء إلىٰ نور المجالي، فأعلىٰ تجلياتها هو هذا التجلي لتمحُّضها وتنزهها عن الأوصاف والأسماء والإشارات والنسَب والاعتبارات جميعًا)⁽¹⁾.

خلاصة دينه هذا أن الله سبحانه يتجلىٰ في صورة الإنسان الكامل.

أو أن الإنسان الكامل هو مَجْلَىٰ الحقيقة الإلهية، وأن هذا الإنسان الكامل قد يكون مسلمًا، وقد يكون صليبيًّا!! قد يكون شيخًا يصلي في مسجد، وقد يكون بطريقًا يترنم في معبد!!

وكل ما قاله الجيلي بعد ذلك توكيد لما يدين به من أن كل إنسان هو الله ذاتًا ووجودًا وصفة واسمًا!! هو الوجود المطلق والمقيَّد!!

بل ليؤكد أنه ليس لله وجود غير وجود الإنسان، حتىٰ وهو في مرتبة الأحدية التي كان الله فيها - كما يزعم الصوفيون - وجودًا مطلقًا ليس له تعيُّن، ولا اسم، ولا صفة!!

في هذه المرتبة كان الله هو الإنسان، وكان الإنسان هو الله. فما الفرق في هذا بين الشيوعية والصوفية؟ إنه الفرق بين الجحود يتسم بالصراحة والجحود يتسم بالوقاحة، الشيوعية جحود صريح، والصوفية جحود منافق.

فالشيوعية لا تعترف بغير الإنسان والطبيعة، وكذلك الصوفية كما ترىٰ. غير أن الصوفية زادت الجحود حقدًا علىٰ الله، وكراهية له، فقالت عن الإنسان: إنه

---

(١) ص(٣٠/ جـ١) الإنسان الكامل.

هو الله، أما الشيوعية فلم تقلها!!

ولنأت بمثل قد يصلح لبيان الفرق بين الجحود الشيوعي والجحود الصوفي: إذا بغىٰ «رأسمالي» طاغية، أو استعماري داهية، فإن الشيوعية تلعنهما، أما الصوفية، فترضىٰ عنهما قائلة في تسبيح وتقديس: رضي الله عنهما!! لماذا؟

لأنهما هما الله - سبحانه - يظهر في هاتين الصورتين.

فابن عربي يقول مثلًا عن الله: (سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها) (صـ٦٠٤/ جـ٢) «الفتوحات المكية لابن عربي»، ويقول عن الله أيضًا كما سبق: (فما يُحَدُّ شيء إلا وهو حَدُّ الحق، فهو الساري في مُسَمَّىٰ المخلوقات والمبدعات، فهو الشاهد من الشاهد والمشهود من المشهود، فالعالم صورته، وهو روح العالم المدبر له، فهو الإنسان الكبير) ص(١١١) «فصوص» ط الحلبي.

والحد هو التعريف التام، فإذا عَرَّفت الجماد كان هذا التعريف تعريفًا لله؛ لأنه عين هذا الجماد.

و«الجيلي» يزعم أن الله عين الأوثان، وأن عبدة الأوثان ما عبدوا غير الله، فهو يقول: (من عبد منهم الوثن، فلِسِرِّ وجوده سبحانه بكماله بلا حلول ولا مزج(١)

---

(١) الحلول يقتضي الثنائية، والمزج يقتضي التعدد، فالحلول يقتضي وجود حال ومحل. والمزج يقتضي وجود شيئين علىٰ الأقل، ولهذا يكفر الجيلي بالحلول؛ لأنه يؤمن بالوحدة التامة المطلقة بين الخلق والخالق، وكل صوفي يؤمن بوحدة الوجود يكفر بالحلول؛ لأنه يؤمن بأن الله عين كل شيء؛ ولهذا زعم ابن الفارض في «تائيته الكبرىٰ» أنه ينزه عقيدته عن دعوىٰ الحلول، وذهب المدلسون الخداعون يستغلون هذه، زاعمين بها أن ابن الفارض =

في كل فرد من أفراد ذرات الوجود، فكان تعالىٰ حقيقة تلك الأوثان التي يعبدونها). (ص٨٢/ جـ٢) الإنسان الكامل.

ويقول: وهو يشرح لا إله إلا الله: (اعلم أنه لما كان الوجود منقسمًا بين خلق حكمه السلب والانعدام والفناء، وحَقٍّ(١) حكمه الإيجاد والوجود والبقاء، كانت كلمة الشهادة مبنية علىٰ سلب وهي: لا، وإيجاب وهي: إلَّا، معناه: لا وجود لشيء إلا الله؛ ولفظ إله في قوله: لا إله، يراد به تلك الأوثان التي يعبدونها، سماها الله تعالىٰ إلهًا كما سموها موافقة لهم لسر وجوده في أعيانها، فهي بوجوده آلهة حقًّا.

فكل معبود منها بظهور الحق في عينه إله، لأنه تعالىٰ عينها، وهو الله حيثما ظهر مستحقُّ الألوهية، ثم أفرد الجميع في الاستثناء بقوله: إلا الله يعني ليست تلك الآلهة إلا الله، فلا تعبدوا إلا الله علىٰ الإطلاق من غير تقييد بجهة، فإنه كل الجهات، فما في الوجود شيء إلا الله تعالىٰ، فهو عين جميع الموجودات) (صـ٨٩) جـ(١) الإنسان الكامل.

فما رأي الأستاذ «محمود» في هذا؟.

كان مؤمنًا منزهًا، علىٰ حين يقول عن الذات الإلهية: (وما زلت إياها، وإياي لم تزل)، فإيمانه بالوحدة التامة بينه وبين الله جعله ينفي الحلول عن نفسه؛ لأن الحلول - كما بينت - يستلزم الثنائية والغيرية.

(١) الحق يقابل الخلق مقابلة لفظية فقط عند الصوفية، لأنهما في الحقيقة شيء واحد، أو هما وجهان لحقيقة واحدة هي الحقيقة الإلهية؛ إذ يقول الصوفية عن الله قبل ظهوره في صورة الخلق إنه حق، ويقولون عنه بعد هذا الظهور: إنه خلق، فالحق باطنه، والخلق ظاهره!!.

وهل سيظل مصرًّا علىٰ قوله:

(إن التصوف الإسلامي يمكن أن يصلح غذاءً طيبًا لتجاربنا الإنسانية الجديدة لو أحسنا دراسته دراسة وجدانية وفلسفية واجتماعية معًا)، تلك هي عقيدة الصوفية في الألوهية، فهل تصلح هذه العقيدة (يا أستاذ محمود) لقيادة ثورتنا؟

وهل يمكن أن نبني علىٰ هذه العقيدة حضارتنا وأمجادنا، وهل تستطيع هذه العقيدة الخئون أن تمد حياتنا بالقيم الزاكية والمثل الساميين؟

ماذا لو وقفت أدعو إلىٰ عبادة أبي الهول والعجل؟!

ماذا لو وقفت أدعو إلىٰ تقديس «ستالين» و «غلادستون» معًا؟!

ماذا لو وقفت أقول: إن الشيوعي رأسمالي، والرأسمالي الطاغية هو اشتراكي نبيل، والصليبي مسلم، والمسلم يهودي؟!

ماذا لو وقفت بين الناس أدعو إلىٰ تمجيد الديمقراطية والأرستقراطية والبيروقراطية والشيوعية والرأسمالية؟!

ماذا لو وقفت أقدس الكفر والإيمان والضلال والهدىٰ، والباطل والحق، والخطأ والصواب؟!

ماذا لو وقفت أقول للناس. آمنوا بالله، واكفروا بالله؟!

ماذا لو وقفت بين يتامىٰ فلسطين أقدس لهم ذكرىٰ «بلفور» اللعين، وأدعوهم إلىٰ تقديس ذكراه؟!

إن الصوفية «يا أستاذ محمود» تزعم لي أنني إن فعلت هذا أثبت أنني علىٰ بصيرة وعلىٰ إيمان وبينة!!

وإن كنت في ريب «يا أستاذ محمود» فاقرأ ما قدمت من نصوص.

فهل تريد أن نبني تجاربنا الإنسانية الجديدة علىٰ هذا الأساس؟

قد نجد من يمجد دعوىٰ أن الصليبي مسلم، وأن اليهودي مسلم.

ولكنا لن نجد أبدًا من هؤلاء من يرضىٰ بأن نجعل من «بلدوين» ندًّا للينين!!

ثم هل نسي الأستاذ «محمود» أن الصوفية تسخر أعناق الملايين لشهوة طاغوت واحد، له وحده حق التصرف في دينهم ودنياهم. ولقد حاربنا الإقطاع لنحرر اللقمة، فنحرر الكلمة، وفي الصوفية «واحد» فقط هو الذي له حق الكلام، وما علىٰ الألوف من «الدراويش» إلا أن يرددوا ما قاله الشيخ، إنهم مسخرون مستعبدون مهطعون مستذلون لهوىٰ الشيخ وشهوته وعبادة كلمته، أفيصلح هؤلاء الأهماج، ليكونوا جنود ثورة، وحماة أمة، وقادة أجيال؟!

إن ما يثير دهشتنا أحيانًا أن نرىٰ من المستشرقين والكتاب قومًا يحاربون الدين، ويحتقرون الدين، ويسخرون ممن له دين، ويدينون أن الإسلام أخطر «أفيون» قضىٰ علىٰ قوة الشعوب، نرىٰ هؤلاء يتصدون للدفاع عن التصوف في حماس بالغ، ويمجدونه ويضيفون إليه عمدًا كلمة «إسلامي»، ليشعروا المفاليك أنهم يكتبون عن الإسلام، فيميلون إليهم بقلوبهم وآذانهم، وليشعروهم أن هذا هو الإسلام، والألوف الألوف ممن ينتسبون إلىٰ الإسلام جغرافيًّا ظَنٌّ يقدِّر أن التصوف يمثل الحقيقة المقدسة في الإسلام، وبهذا الظن سَهُل علىٰ المقنَّعين أن يقودوا الملايين إلىٰ ما يبيتون من شر خطير بغية القضاء علىٰ الإسلام والمسلمين.

ومن يستقرئ تاريخ الكيد لهذا الدين الحق يتجلىٰ له أن زعماء هذا الكيد قد ادرعوا بالصوفية دائمًا لضرب الإسلام، وللقضاء علىٰ قيم هذه الأمة ومقوماتها. وحسبنا الحلاج وابن عربي والسهروردي المقتول والمقنع الخراساني والشلمغاني والفاطمية!!

إن الصوفية - كما يثبت تراثها وتاريخها - ألعن خدعة ماكرة جازت علىٰ المسلمين، فظنوها معين الروحانية العليا في الإسلام التي تجعل من الإنسانية ربانيًّا أو رَبًّا! وهي عدو الإسلام الألد الخصام الخئون الغدر.

سلوا إفريقية تخبركم أن عدة الاستعمار في استعبادها كانت هي الصوفية.

وسلوا الفارين من الشيوعية فعندهم الخبر اليقين!!.

وسلوا الباطنية قديمًا، والبهائية حديثًا!!.

ثم ليعذرني الأستاذ «محمود» إذا انصرفت عنه إلىٰ عميد كلية أصول الدين - رغم أنه كان أستاذًا لي في تخصص التدريس - الدكتور عبد الحليم محمود لأقول له مرة أخرىٰ: ما رأيك يا عميد كلية أصول الدين في هذا الدين؟

ما رأيك في قول ابن عربي عن الله إنه عين الأشياء؟

وما رأيك في قول الجيلي عن الله إنه عين جميع الموجودات؟

أو بعد هذا يظل الدكتور مصرًّا علىٰ زعمه أن الصوفية تقول بوحدة الوجود لا بوحدة الموجود ظانًّا أن هناك فرقًا بين الكفرين؟ وها هي ذي تقول في وضوح وصراحة عن الله: إنه عين الأشياء وعين كل الموجودات؟

هذا والقول بوحدة الوجود هو عين القول بوحدة الموجود، والتفرقة بينهما وهم طاف بخيال العميد الكبير خيل إليه به أنه أنقذ الصوفية من الكفر الوثني الغليظ!!

فبالوجود يتقوم ويتكون الموجود، ولهذا ينتج من الإيمان بوحدة الوجود، الإيمان بوحدة الموجود، وقد رفض التراث الصوفي أن يعترف بما قال الدكتور باللازم والملزوم معًا في كل نصوصه!! وقرر أن الله هو عين الوجود وعين كل موجود.

وإلا فليأتنا العميد الكبير بنص واحد ينفي عن الصوفية ما دمغناهم به.

ثم بودي أن يدلنا الأستاذ «محمود» والأستاذ الدكتور العميد، وكل عاشق للشيوعية أو الصوفية علىٰ بطولة إسلامية كانت للحلاج ولابن عربي ولابن الفارض وللسهروردي، لقد حاول الأول تقويض أركان الدولة، وقد كان شعوبيًّا حقودًا وزرادشتيًّا جحودًا لم يقدم للإسلام ودولته سوىٰ كفر هو مزيج من زرادشتية وصليبية.

أما ابن عربي فقد عاصر هو وابن الفارض بعض الحروب الصليبية، فما قدما لله شيئًا، وكيف وهما يحملان الصليب، ويقدسان الصليب، والصليبية لم تخطئ في دين ابن عربي إلا في أنها حكمت بربوبية عيسىٰ وحده؛ إذ كان الواجب أن تحكم بربوبية كل شيء، وأن تعبد كل شيء؛ لأن الله عين كل شيء.

أما السهروردي فمجوسي قرمطي نجم كالشيطان في حلب - وكان يحكمها الملك الظاهر بالنيابة عن أخيه صلاح الدين ليحرم - أي السهروردي - صلاح الدين من ثمرة انتصاره علىٰ الصليبية والمجوسية الفاطمية، وليجعل من الدولة العظيمة في أوج انتصارها مغدىٰ ومراحًا لعلوج فارس، وزنادقة الفاطمية، وليحل الغنوصية محل الإسلام، وكانت غنوصيته أمشاجًا من الأفلاطونية المحدثة في الفيثاغورية الجديدة، وقد تردد ما قاله علىٰ ألسنة صوفية النصارىٰ والفلاسفة من قبل، ولهذا لم يتردد صلاح الدين في قتل هذا الملحد في سنة ١١٩١م.

وإلا فليدلنا صوفي علىٰ غير هذا.

فهل يريد الأستاذ «محمود» أن نتخذ من هؤلاء لنا أسوة وقدوة.

وبعد هذا اليحموم الخانق نذكر بهذه الكلمات الروائع التي فجرها قائد هذه الأمة، «جمال عبد الناصر» نورًا يبدد هذه الظلمات:

(لقد استطاع الرسول الكريم أن يجعل دعوته مثالًا لكل الدعوات، ومنارًا لمن

أتىٰ بعده من المصلحين؛ فقد كان خاتم الأنبياء، وآخر الموحَىٰ إليهم من المرسلين، فجعل من حياته دستورًا للحاكمين، ومن سيرته شاخصًا يهتدي به الأحياء علىٰ مر الأجيال والأعوام.

إن في الدعوة الإسلامية دروسًا وعبرًا، فلم لا نتخذ منها واعظًا ومرشدًا؟ لم يشق بعضنا عصا الطاعة علىٰ بعض؟ ولم نفترق في سياستنا وأهدافنا ومثلنا؟

لم لا نهتدي بهدىٰ الإسلام عندما نضل الطريق أو تشتبه علينا الأعلام؟

أيها العرب، أيها المسلمون، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، بأن تكونوا يدًا علىٰ من عاداكم، مسالمين لمن سالمكم، ولا تتفرقوا ولا تهنوا فأنتم الأعلون).

ويقول الرئيس جمال عبد الناصر في تقديم كتاب العدالة الاجتماعية وحقوق الفرد سنة ١٩٥٤:

(ونقف نحن العرب والمسلمين في هذا الجانب من العالم، نشهد الصراع الذي يدور بين هذه المذاهب المادية والمبتدعة، ونرقب المعارك الناشبة بين بعض الشعوب وحكوماتها حول تلك المذاهب، فنعجب أشد العجب؛ لأن مشكلة الفرد والجماعة التي حيرت كل المفكرين والفلاسفة في أوربا منذ قرنين أو منذ قرون، قد وجدت الحل الصحيح في بلادنا منذ ألف وثلاثمائة سنة.

منذ نزل القرآن علىٰ محمد بن عبد الله ﷺ يدعو إلىٰ الأخوَّة الإنسانية، ويفصِّل مبادئ العدالة الاجتماعية علىٰ أساس من التراحم، والتكافل الأخوي، والإيثار علىٰ النفس في سبيل النفع العام للجماعة، من غير طغيان علىٰ حرية الفرد، ولا إذلال له ولا إنكار لذاتيته.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ

وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ﴾ [النحل: ٩٠].

فليكتف المفكرون بما بذلوا من جهد، ولا يبحثوا منذ اليوم عن حلول أخرىٰ لمشكلة الفرد والمجتمع...

إن عندنا الحل..

الحل الأول الذي نزل به الوحي علىٰ نبينا منذ ألف وثلاثمائة سنة... هو الحل الأخير لمشكلة «الإنسانية»، وهذه كلمة حق يؤمن بها المسلمون).

وقال في عدد خاص من مجلة المصور عن العالم الإسلامي، وهو يتحدث عن أهداف الثورة المصرية:

(فعلينا نحن المسلمين أن نعتبر بماضينا، وأن نتعظ بغيرنا، وأن ننتفع في نهضاتنا الجديدة بما سلف من تجارب ودروس، وأن نضاعف جهودنا في هذا العصر الذي يفرض علينا واجبات خطيرة؛ فقد أخذت الدول تتسابق نحو القوة ونحو الرقي، وتعمل لخير شعوبها معتمدة علىٰ العلم الحديث والتربية المتينة الصالحة، فلنأخذ طريقنا نحو مستقبل مجيد يقوم علىٰ العلم والأخلاق، وعلىٰ الإخلاص، وصدق العزائم، والله مع العاملين المخلصين).

ومما قاله في سنة ١٩٥٤: (فليعرف من شاء ومن لم يشأ أن كل بلاد تنطق بالعربية بلادنا، ولا بد أن تتحرر بلادنا، وليعرف من شاء ومن لم يشأ أن المسلمين في شتىٰ بقاع الأرض إخوة، ولا بد أن يتعاون الإخوة في البأساء والشدة).

ومما ورد في الميثاق عن الإيمان بالرسالة:

(إيمان لا يتزعزع بالله وبرسله ورسالاته القدسية التي بعثها بالحق والهدىٰ إلىٰ الإنسان في كل زمان ومكان).

وعن ربط حاضر الأمة بماضيها المجيد، وتذكيرها بتاريخها العظيم وكان الفتح الإسلامي ضوءًا أبرز هذه الحقيقة وأثار معالمها.

وصنع لها ثوبًا جديدًا من الفكر والوجدان الروحي.

وفي إطار التاريخ الإسلامي... وعلىٰ هدىٰ من رسالة محمد ﷺ... قام الشعب المصري بأعظم الأدوار دفاعًا عن الحضارة والإنسانية؟ وعن القيم الروحية الدينية.

(إن القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة علىٰ هداية الإنسان، وعلىٰ إضاءة حياته بنور الإيمان، وعلىٰ منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة).

إن رسالات السماء كلها في جوهرها كانت ثورات إنسانية استهدفت شرف الإنسان وسعادته، وإن واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته.

إن جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة، وإنما ينتج التصادم في بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم، وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الإلهية السامية.

فماذا يقول الشيوعيون؟

وجاء في التقرير الذي وصفته لجنة الميثاق:

(تمكنت الأمة العربية، بعد انتشار الإسلام، وبقوة الإيمان من أن تصل إلىٰ الذروة علىٰ هدىٰ من رسالته ومبادئه، وقد أبرز الميثاق صورة من هذا الماضي، لتكون نبراسًا للعمل في الحاضر والمستقبل، وصورة للقيم الخالدة التي يقوم عليها مجتمعنا الجديد). فقال: (وفي إطار التاريخ الإسلامي، وعلىٰ هدىٰ رسالة محمد ﷺ، قام الشعب المصري بأعظم الأدوار دفاعًا عن الحضارة والإنسانية).

(إن الإسلام يعني عناية كبيرة بتنظيم طريق الإنسان في الحياة الدنيا إلىٰ جانب عنايته بتنظيم صلة الإنسان بخالقه وطريقه للحياة الآخرة).

(يجب علينا في مجتمعنا الجديد أن نعنىٰ بكشف حقيقة الدين، وتجلية جوهر رسالته، لكي تكون قيمته الروحية الخالدة أساسًا لقيم المجتمع الجديد، ولكي تكون الشريعة الغراء مصدرًا أساسيًّا للتقنين، ولتتم المساواة بين المرأة والرجل في إطار الشريعة الإسلامية.

لو آمن كل مسلم بما ورد في هذا القول الرصين الرائع المحكم، لعاد لهذه الأمة مجدها ولتحقق لها وعد الله سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: ٥٥].

هذا وعد الله، ووعد الله لا يمكن أن يتخلف؛ لأنه وعد القادر الذي بيده ملكوت كل شيء.

كما يطيب لنا أن نذكر أولئك الذين يظنون أن للشيوعية مستقبلًا في مصر، بما قاله قائد هذه الأمة في صراحته المشرقة في اجتماعه بالهيئة البرلمانية في يوم ٢٥/ ٢/ ١٩٦٥، وعن جريدة الأهرام ننشر أقوال الرئيس، ففيها القول الفصل، وفيها وعيد شديد، وتحذير حازم لمن يريدون صرف هذه الأمة عن دينها الرشيد القويم.

تقول الأهرام تحت عنوان: «خلافاتنا مع الشيوعية»:

قال الرئيس جمال عبد الناصر: (إننا نختلف في كثير من المسائل مع الشيوعية، وخلافاتنا هي خلافات جذرية، نحن نؤمن بالدين أولًا، ونحن نرفض ديكتاتورية أي طبقة من الطبقات، ونحن نتطلع إلىٰ الوحدة القومية، ونحن لا

نصفي بالعنف أي طبقة، ولكن نصفي امتيازات الطبقة).

وتحت عنوان: «عن الشيوعية مرة أخرىٰ» قالت الأهرام:

ثم انتقل الرئيس جمال عبد الناصر إلىٰ عدد من القضايا الداخلية الهامة، وكانت بينها ما أشارت إليه بعض الأسئلة عن الشيوعيين الذين خرجوا من المعتقلات في العام الماضي، وقال الرئيس جمال عبد الناصر:

لقد كان ضروريًّا قبل إصدار الدستور أن لا يكون هناك معتقل واحد في السجن، ومن ناحية أخرىٰ فإن التطور الثوري إلىٰ الأمام قد سبق كل التصورات والخيالات.

والآن فنحن نتصور أن عددًا من الشيوعيين يمكن أن ينصلح حالهم، وأن يفسح لهم المجتمع فرصة للعمل؛ تهيئ لهم أسباب الحياة، وفرصة للتفكير الجديد علىٰ أساس الميثاق.

وقال الرئيس جمال عبد الناصر: إنه إذا حاول الشيوعيون إيجاد تنظيم شيوعي، فإن ذلك سوف يكون ضد الميثاق، وكذلك إذا حاول أحد منهم أن ينشر دعوة إلحادية تمس بالدين، وفي هذه الحالة فإن الدولة لن تسكت ولن تقبل.

فهل يرتدع الشيوعيون؟

وهل يظل الأستاذ «محمود» مصرًّا علىٰ زعمه أن التصوف بما شرحناه يصلح أساسًا لتجاربنا الإنسانية الجديدة؟

اسمع هذه الكلمة من قائد الأمة: (فليكتف المفكرون بما بذلوا من جهد، ولا يبحثوا منذ اليوم عن حلول أخرىٰ لمشكلة الفرد والمجتمع).

إن عندنا الحل..

الحل الأول... الذي نزل به الوحي علىٰ نبينا منذ ألف وثلاثمائة سنة هو الحل

الأخير لمشكلة الإنسانية فلكيتف المفكرون!!

وليخنس المنحرفون!!

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، وسيتم الله نوره.

* * *